حساسة من المجتمع المتخلف (مثل تأثيره على علاقات السوق وعلى عملية التراكم وعلى نمو السكان وعرض العمل ·· الخ) مشكلا بذلك اساسا ممتازا لضمان استمرار النظام الكولونيالي ·

٤ ـ البنية الاجتماعية المشوهة : حيث المجرى الطبيعي للتطور الاجتماعي ـ الاقتصادي » في البلدان المتخلفة و « حال قطع « تغلغل الرأسمالية الغربية الاجنبية دون ان.تسير على الطريق والمعدل اللذين تحددهما القوانين الداخلية لتطورها السابق » ، فوضعنا بذلك امام تشوه وتفكك التركيب الطبقي لهذه البلدان حيث « القديم لم يختف كليا ، والجديد لم يقم على الانقاض بل بين بقايا القديم ، بالاضافة الى ان تغلغل وتعزز الجديد لم يتحقق في كل مكان » ·

وبالتأسيس على واقع العلاقات الترابطية والتداخلية التي تسم الواقع الذي عالجه سنتش عبر المواضيع الاربعة المذكورة ، تتضح معالم الظاهرة الكولونيالية بوصفها منظومة تحوز على القانونية الموضوعية لتوازنها واستمرارها بصرف النظر عن الارادات الواعية والمقصودة لتحقيق ذلك الاستمرار · وبالاستناد الى ذلك يتضح مدى زيف تلك المحاولات التي تبذلها بعض الاطراف (البلدان المتخلفة خصوصا) للخروج من اسار وضعها في تلك المنظومة عن طريق خدش احد جوانبها ، دونما اي ادراك (أو قدرة على ادراك) لتلك القانونية الموضوعية التي يتم على اساسها انشداد اواصر المنظومة ، والشروط التي تمكن المنظومة من اعادة انتاج نفسها · تلك المحاولات التي لم يكن محكوم عليها بالاخفاق اساسا فحسب ، بل كانت في بعض الاحيان قابلة لان تجير لصالح دعم استقرار المنظومة وامكانيات استمرارها ·

في مطلع الجزء الاول من كتابه ذكر سنتش « ان طبيعة وهدف الكتاب لا ينطويان على تقديم (وصفة طبية) تفصيلية لما ينبغي ان تكون عليه السياسة الاقتصادية الرامية للخروج من التخلف » · وعلى اساس ذلك فانه حين اراد لكتابه ان لا يكون مجرد « تشخيص الاعراض الظاهرية التي تولد الاوهام وتبعد المرء عن المعالجة الصحيحة » ، يكون مفهوما مبرر حصر اهتمامه في هذا المجال بـ « الآفاق العامة للتنمية والمعضلات الاستراتيجية البعيدة المدى » ، وهذا ما كان في الجزء الثالث من كتابه والذي خصصه لهذا الغرض وقدمه تحت عنوان « كسر الحلقة المفرغة » ·

مر معنا ان حجر الزاوية في التفسير الذي يتبناه سنتش حول معضلة التخلف يتمثل في اعتبار تلك الظاهرة ، في وضعها الراهن ، نتاجا لعلاقة متشابكة بين « العوامل الخارجية التي انبثق التخلف على اساسها » وبين « البنية التي يتألف منها التخلف » مع التشديد على ان « العوامل الخارجية » تمثل الطرف الحاسم في هذه العلاقة · ومن طرح كهذا قد يشتق ـ وبصورة ميكانيكية ـ اقرار تبسيطي يقول بانه يترتب « على كون التخلف نتاجا للرأسمالية العالمية انه لا يمكن عمل شيء لتصفيته قبل وبدون انهيار الرأسمالية العالمية » ، وقد تفتقت بعض القرائح عن تصورات متعددة حول الطرق التي ينبغي السير عليها لتحقيق « الثورة العالمية » والتي تمثل الشرط الضروري لـ « تصفية التخلف » · لهذه الصيغة ، التي لا تخلو من تعسف وسذاجة ، يوجه سنتش نقده الحازم مبينا مدى خطأ تلك الاطروحات وخطورتها على اختلاف مزاعمها من اغلوطة اعادة توزيع الدخل عن طريق المعونات والتعويضات وما شابه ذلك ، الى وهم الاطاحة الثورية بالنظام الرأسمالي العالمي عن طريق الثورة العالمية للشعوب المتخلفة ، الى التفاؤل